

السلطة التنظيمية في الفكر السوسيولوجي

تاريخ قبول المقال للنشر 2018/02/14

تاريخ استلام المقال: 2017/09/28

رحمانى محمد طالب دكتوراه جامعة وهران 2 محمد بن احمد

مخبر التربية والتنمية التابع لجامعة ادرار

البريد الالكتروني: rahmoh19@gmail.com

أ.د. مولاي الحاج مراد جامعة وهران 2 محمد بن احمد

ملخص:

نعرض في هذه الورقة البحثية موضوع السلطة الذي لقي اهتماما كبيرا لدى الباحثين في الحقل الاجتماعي والسياسي والإداري، وابن خلدون كانت له يد سبق في هذا المجال، وفكرته في مجملها حول السلطة، إن العصبية هي عامل من عوامل بناء السلطة وتحدد مشروعيتها في اكتساب الملك، وانطلق علماء الاجتماع بعد ذلك في بحث تشكل السلطة وتحديد مشروعيتها أعقاب أحداث الثورة الفرنسية وما أحدثته من تغيرات اجتماعية عميقة طرأت على المجتمع الأوروبي، وفي هذا الإطار ظهرت دراسات ماكس فيبر للسلطة من خلال تقسيمه إياها إلى ثلاثة أصناف يميز كل صنف منها مرحلة من مراحل تطور المجتمع.

الكلمات المفتاحية: السلطة - التنظيم - السوسيولوجيا - ابن خلدون - ماكس فيبر.

Abstract:

We show in this paper the subject of authority which has received considerable attention from researchers in the social, political and administrative field, and Ibn Khaldun was a hand a head start in this area, and the idea in its entirety on the power, the nerve is the factor of building power factors and determine its legitimacy in the acquisition of King, and dashed sociologists then in the search form power and determine its legitimacy following the events of the French Revolution and what has caused profound social changes in the European community, and in this

context, Max Weber Studies Authority emerged through dividing them into three classes distinguish each type at the stage of development of society.

مقدمة:

الاجتماع الإنساني ضرورة بمقتضى الفطرة ، فالإنسان يعيش ببني جنسه يكمل الواحد منهم الآخر، واقتضاء لهذا الاجتماع، اوجد بني البشر آلية لضبط سلوكاتهم وتصرفاتهم تمثلت في سلطة يمتلكها شخص ليتم التأثير بها على الآخرين.

ولاقت السلطة اهتماما واسعا من مفكرين وفلاسفة تناولوا هذا المفهوم على نطاقات عدة واستلهموا نظرتهم من منطلقات فكرية مختلفة وبيئات متعددة، وهم من وضع لبنة التنظير الأولى مروراً برؤية فلسفية وضعت خطأ واضح المعالم للعلاقات البشرية وسبل تعزيزها. واستدعى ذلك إلى استنطاق الواقع وتحليل ظاهرة السلطة بإيعازها إلى ما هو كائن وموجود وصولاً إلى تحديد معالمها التي يمكن للبشر السير على مقتضياتها، وهذا ما يسرد واقعا تاريخيا لما كانت عليه، وما آلت إليه، وما يمكن أن تكون وفقه.

فالفكرة مبنية في أول ظهورها على تنظيم البشر في مجتمع واحد مما دعى هذا إلى ظهور مصطلح الدولة، ولهذا المصطلح تجلياته في علوم شتى تطرقت إليه بالتحليل والنقاش.

فالسلطة لم تقتصر على ذلك المفهوم الضيق لها؛ بل تعدا ذلك إلى مجالات منها: الإداري والاجتماعي والتربوي و حتى الأسري، وعلى الصعيد الإداري الذي هو مجال بحثنا في هذه الورقة ؛ نود الإشارة من خلالها إلى السياقات التاريخية لمفهوم السلطة ومصادرها التي صاغها كل من ابن خلدون وماكس فيبر وفق بيئتين اجتماعيتين مختلفتين. وإسقاطها على الممارسة الإدارية التي تدخل ضمن تقديم خدمات للصالح العام وما يدور في فلكها من علاقات تحكمها سلطة معينة على حسب الأنماط التقليدية والعقلانية

لممارسيها، وهذا يخضع لطبيعة العادات والتقاليد المجتمعية، وقوة ممارستها للضبط الاجتماعي. مشكلة نبحث من خلالها ممارسات للسلطة وفق المنظور الخلدوني والفيبري في سياقات تاريخية مختلفة تعطينا نظرة شاملة حول محصلة تاريخية لهذا المفهوم المثير للجدل. اذا. ما هي السلطة؟ وما طرق ممارستها وتصوراتها وفق ما جاء به ابن خلدون وماكس فيبر في مراحل تاريخية مختلفة؟ وما مصادرها وأسس شرعيتها؟

1- السلطة : تشكل المفهوم وخصوصية الماهية:

تشكل مفهوم السلطة على أعتاب حاجة المجتمع للضبط وللسير وفق معايير تُحدد لتعطينا شكلا هرميا تختزل فيه الأدوار والعلاقات الاجتماعية. واستمد مفهوم السلطة ماهيته من حقول معرفية عدة، ولعل أبرزها الحقل الإداري، ومن هذا يشير مولود زايد الطيب في كتابه علم الاجتماع السياسي ان مفهوم السلطة مفهوم متداخل في استخداماته وإحلاله بديلا في بعض الاحيان لمصطلحات ومفاهيم اخرى، مثل الدولة، والحكومة، والقوة، والنفوذ، والسيطرة¹. قبل البدء في تقديم اصطلاحية المفهوم نرى من الأهمية بمكان ان نعرج على مضمونه اللغوي، و يشير ابن منظور في هذا الصدد إلى السلطة على أنها اسم للتسلط : القهر².

والسلطة اسم من السلطان وهو الوالي، وجمعه سلاطين، والسلطان: صاحب الحجة، أو صاحب الشدة والسطوة والحدة، او صاحب القدرة³. هذه الصفات هي ما يتمتع بها صاحب السلطة، أو من يملكها فلو نتبعنا معناها هذا لوجدناها تعني قدرة شخص في استخدام القوة أو القهر والسطوة

¹ - مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2007، ص 74

² - ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج8، 1956، ص 320

³ - باري هندس، خطابات السلطة من هوبز الى فوكو، ت ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص

على شخص أو أشخاص آخرين تحت إمرته دون تحديد شرعية ذلك الاستخدام.

وان كانت في اللغة الانجليزية تحمل معنى واحد بغض النظر عن اختلاف كتابة المفهوم فكلمتي (**power** و **authority**) لهما نفس المعنى اي السلطة لكن كلمة (**power**) تستخدم للدلالة على السلطة في نطاقها العام والشامل؛ وتعني أيضا القدرة، الاستطاعة، القوة. بينما تستخدم كلمة (**authority**) للدلالة على التخصيص فنقول سلطة سياسية أو عسكرية¹.

وبمعناها الاصطلاحي يمكن أن نحددها في عدة تصورات واتجاهات؛ فالسلطة دائما كانت محل تجاذب بين اختصاصات عدة؛ لما كان من تشابه في أطراف علاقتها ضمن إطار تنظيمي معين باختلاف المسميات طبعا ، وهي تستوجب طرفين اثنين ضمن علاقة تحدد مشروعيتها باعتباريات عدة منها قانونية تنظيمية اجتماعية سياسية ، و اقتصادية.

ولعل في ديننا الإسلامي جاءت الكثير من الأحكام سواء في القرآن والسنة تضبط العلاقة بين المسلمين من حيث أن هناك حاكم ومحكوم، ولم ترد كلمة سلطة في القرآن الكريم؛ إلا أن هناك ما يكون ضمنها وهو ما جاء في الآية الكريمة "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتُلُوكُمْ"²، وجاء أيضا في قوله تعالى: " وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "³. ولم ترد في غير هذه المواطن، فيما وردت كلمة سلطان في سبعة وثلاثين موطنا⁴.

¹ - نفسه ، ص 13

² - سورة النساء الآية: 90 رواية ورش عن نافع

³ - سورة الحشر الآية: 6 ورش عن نافع

⁴ - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة ، 2001، ص ص 435 - 436

فالتجاذبات التي يطرحها مفهوم السلطة وغموضه ينجر عن ذلك تضارب وإشكالية في التعريف " فهو مصطلح ملتبس برغم انتشاره غامض المعاني رغم ملامحه التي تبدو واضحة عند الممارسة"¹، وينطوي هذا الإبهام في عدم تحديد مفهوم السلطة حتى من كان لهم السبق في كلامهم حول تأسيس الدولة ؛ بحيث أولوا اهتماماتهم على كيفية ممارستها، يقول ميكيافيلي في ذات الصدد انه من الواجب ان يخافك الناس ، وان يحبوك، ولما كان من العسير ان يجمع بين أمرين فان من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك².

ويحدد توماس الاكوييني ان السلطة هي نتيجة تفرضا حياة الإنسانية في جماعة منظمة لأنها تستهدف تحقيق المصالح المشتركة لأفراد هذه الجماعة³. وهذا شرط أساسي لما ذهب اليه الاكوييني في قوله فالسلطة كانت دائما مرتبطة بالاجتماع الإنساني لتحقيق عملية الضبط الاجتماعي.

كما يتحدد مفهوم السلطة عند ابن خلدون في أن أصل السلطة كتعبير على مجموعة العلاقات التنظيمية التي تحكم أفراد جماعة أو مجتمع ما ويقوم هذا على الأصل في العصبية التي يشرحها في المجتمع من خلال هذا المفهوم⁴. ويشير ماكس فيبر في تعريفه للسلطة ان هناك طرفين في هذه العملية أي هناك طرف حاكم وطرف آخر محكوم وهذا لا يتأتى في نظره إلا بطاعة المحكوم للحاكم او لصاحب السلطة وهذا ما تجلى في قوله: الاحتمالية بان قيادة ما تطاع من قبل مجموعة محددة⁵.

¹ - باري هندس ، مصدر سبق ذكره، ص 13

² - باري هندس ، المصدر السابق، ص 14

³ - محمد نصر منها، في تاريخ الافكار السياسية وتطویر السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999، ص

134

⁴ - حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات حلب، حلب ، سوريا، 1993، ب ط، ص 06

⁵ - نفس المرجع، ص 23

وعرفها فايول (fayol) على أنها الحق لإعطاء الأوامر والقدرة على ابتزاز الطاعة¹.

أما السلطة في نظر أصحاب القانون فينظرون إليها على أنها إخضاع إرادة شخص لإرادة شخص قانوني آخر؛ أي أنها علاقة قانونية بين إرادتين إحداهما خاضعة، والأخرى متفوقة وتسمو عليها².

ومن نافلة القول يمكننا تحديد مفهوم السلطة من خلال ما أشارت إليه مختلف التعاريف الاصطلاحية، وهي بذلك علاقة بين طرفين يتوجب لطرف ما أنه يكون محكوما وخاضعا لطرف آخر يملك القدرة والتأثير على سلوكاته.

2- ابن خلدون: العصبية مفهوم لمدلولات متعددة:

ابن خلدون عند حديثه في تشكل السلطة لم ينطلق في تصويره من حيز فارغ صب فيه تكهناته وأراءه بقدر ما استقصى نظرتة من وضع معاش في حياة ساكنة المغرب العربي ، وقبل أن نشير إلى مصدر السلطة عند ابن خلدون الذي أشار إليه في تحليلاته، وهو مفهوم تشكل عندما التحمت تلك العصبات مكونة لحمة يشتد بها أهل العصبية لتكون لهم درعا، وحماية من الأخطار المحدقة بهم، وبهذا نورد مفهوم السلطة كما جاء في لسان العرب فهو من عصبه فعصبه الرجل بنوه وقرابته لأبيه، ويقال عصب القوم بفلان أي استكفوا حوله³. والعصبية: أن يدعوا الرجل إلى نصره عصبته، والتألب معهم⁴ ، وبهذا المعنى اللغوي تتكون العصبية من أقارب الرجل بشكل أساسي غير الاصطلاح الذي تضمنه معناها عند ابن خلدون، ويشير الجابري إلى أن "مصطلح

¹ - كامل محمد المغربي، السلوك التنظيمي، مفاهيم واسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، دار الفكر، عمان، 2010،

ط4، ص 267

² - اسحاق ابراهيم منصور ، ممارسة السلطة واثارها في قانون العقوبات ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 20

³ - ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الاول، حرف العين المهملة، ص 605

⁴ - المصدر نفسه، ص 606

العصبية لم يكن من ابتكار ابن خلدون بل هو مصطلح شائع التداول في اللغة العربية خاصة بعد مجيئ الإسلام الذي صور معناه الى التنازع والفرقة والاعتداد بالأنساب"¹.

ويوضح عبد الغني مغربي ان العصبية مفهوم يستهدف معنى سياسي أكثر مما يستهدف معنى اجتماعي (بالمعنى الحصري) ، وهذا في رده على شراح المقدمة الذين أعطوا تفسيرات كثيرة لمفهوم العصبية حينما ترجموها الى لغاتهم².

ان مفهوم العصبية بمعنى العام يدخل في مدلولها معان عدة منها التكافل الاجتماعي ، والتضامن الاجتماعي وما إلى ذلك من مدلولات؛ لكنها بالمعنى الخلدوني المشار إليه في المقدمة يحمل معنى سياسي يتجلى في دفاع الجماعة عن نفسها.

3- الحي: تشكل نواة السلطة عند ابن خلدون:

يشير عبد الغني مغربي مفسرا تشكل السلطة الذي لم يعطيه شراح المقدمة من قبل ليمدنا بمعلومة فحواها ان للحي دور كبير في تشكل العصبية، وهو بهذا يعطينا معنى ومفهوم الحي الذي هو مجموعة تشكل قرابة احادية الجانب³. والذي من خلاله تنمو النواة الأولى للرياسة او السلطة وهي بذلك رابطة دم خالصة لتعطينا بعد سيرورة زمنية ومكانية نواة صلبة تدعى العصبية التي في المقابل تكون أداة جذب للعصبيات الأخرى للالتحام بها لتشكل نقطة قوة تسيطر بها على باقي العصبات ومن ثم تتشكل السلطة.

¹ محمد عابد الجابري، فكر بن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994، ص 168

² عبد الغني مغربي ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، د : محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 145

³ نفس المرجع، ص 147

وعن مفهوم الحي يتحدث ابن خلدون في مقدمته مبرزاً مفهومه بقوله " اعلم أن حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضاً عصبية أخرى لأنساب خاصة هي اشد التحاماً من النسب العام لهم¹. ويشير أيضاً في قوله "ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتم الرئاسة بها"².

وفي السياق ذاته يقرر عابد الجابري ان القرابة والملازمة شرطان ضروريان لوجود العصبية³ وبما أن العصبية هي رابطة دم وذو القربى ملتحمين فإنهم لا غضاضة أن تثار في أنفُس أفرادها حماية الدفاع عنها إذا تعرضت لأي مكروه خارجي و ابن خلدون يوضح ذلك من خلال أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه او العداء عليه⁴. وعن هذه الرابطة الدموية يتحدث الجابري بقوله أن أساس الرابطة العصبية عند ابن خلدون هو ذلك الاستعداد الطبيعي الفطري الذي يدفع الفرد الى نصرة قريبه في الدم، وللدفاع عنه والنعرة عليه ان هذه النعرة أو التناصر تكون اشد قوة وأكثر وضوحاً بين الأفراد الذين يجمعهم نسب قريب، وبالعكس من ذلك التناصر الذي يقوم به أشخاص الدين يربط بينهم نسب بعيد... فالنعرة والتناصر في هذه الحالة يكونان اقل شدة.⁵

في السياق الذي تحدثنا فيه عن السلطة لابن خلدون، والتي من خلالها ابرز لنا تشكلها وطرق ممارستها في واقع مغربي متغير تحكمه مبادئ السيطرة

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 164

² - المصدر نفسه، ص 164

³ - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 167

⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص 160

⁵ - محمد عابد الجابري، المرجع السابق، 171

والقوة على الآخر من خلال تشكل نواة صلبة تكسر على أعتابها عصابات القبائل الأخرى فهو بذلك أعطانا تصورا شاملا ودقيقا لما كانت عليه السلطة ، وكيفية تشكلها وإكساب الشرعية لها وطرق ممارستها. فالحى كان اللبنة الأولى لتشكل السلطة وبتالى الريف او البادية هي من عبرت عن هذا التلاحم الدموي . ليجعل من هذا المفهوم مدار جميع تحليلاته وشروحاته ، وبنظرة متفحصة بما جاء به هذا العالم الاجتماعي العربي علينا إلقاء نظرة حول عالمانا العربي، وكيف لهذا المفهوم القدرة على فهم الواقع العربي في شكله الحديث او بمفاهيم متعددة تدخل تحت سياقه ولها القدرة على تقديم واقع عربي متميز على باقي المجتمعات الأخرى كمفهوم الجهوية والعروشية وما إلى ذلك من مفهومات ترتبط كلها بتلاحمات تحقق غايات معينة سواء على مستويات ضيقة كداخل التنظيمات البيروقراطية أو في التعاملات اليومية.

4- ماكس فيبر: بيروقراطية المجتمعات الحديثة:

حدد ماكس فيبر البيروقراطية على انها صفة تميز المجتمعات الحديثة ليس لأنها لها السبق في وضع نظام بيروقراطي تنظيمي؛ بل لامتلاك هذه التنظيمات البيروقراطية الرشد والعقلانية، وهو في العموم لا ينفي وجود بيروقراطيات تقليدية عرفت الحضارات القديمة. إلا ان ما يميز نظيراتها الحديثة الخصائص التالية:

- تقسيم العمل يتم حسب لوائح وقواعد وتعليمات مكتوبة.
- توزيع السلطات وفق قواعد محددة وواضحة.
- تنفيذ العمل يتم وفق أساليب محددة يحتاج إلى مؤهلين لتنفيذه.
- هرمية التنظيم¹.

¹ - كامل محمد المغربي، السلوك التنظيمي مفاهيم واسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، دار الفكر، عمان، 2010،

- وجود قانون ينظم إصدار الأوامر إلى الموظفين كي يقوموا بواجباتهم.
 - تفصل البيروقراطية بين الملكية والإدارة، وتفصل النشاط الرسمي للموظف عن حياته الخاصة، كما تفصل الأموال والأدوات العامة عن الممتلكات الخاصة للموظف.

- تتطلب البيروقراطية تدريباً متخصصاً للمديرين التنفيذيين والموظفين.
 - يجب على الموظف ألا يستغل وظيفته أو يتبادل الخدمات مع زملائه من الموظفين لأن معنى أداء الوظيفة هو أن يقبل الموظف القيام بالتزام خاص نحو الإدارة في مقابل الحصول على مورد رزق¹.

البيروقراطية هي مجموعة من القوانين الموضوعية من قبل الحكومات لأجل مراقبة الأنشطة ، وعادة ما تكون في المنظمات الكبيرة والحكومية²، وبهذا نستطيع القول ان فيير حدد معالم التنظيم البيروقراطي من خلال ذكر خصائصه المشار إليها سلفاً، ونجد في المقابل الكثير من الباحثين اهتموا بموضوع البيروقراطية وأعطوا تعريفات لها تبرز ذلك من خلال تعريف موسكا عام 1895 في "كتابه علم السياسة" بأنها "نظام معقد يضم عددا من الموظفين الحكوميين"³. من هذا التعريف ومن تعريفات أخرى حاولت إبراز صفات وخصائص لمفهوم البيروقراطية إلا أن كل تعريف ركز على خاصية معينة وبالتالي أعطونا تنسيق متناه لفهم معنى البيروقراطية بغض النظر عن الممارسات الواقعية التي تحدث داخل التنظيمات البيروقراطية، والانتقادات التي وجهت لها، إذا فالبيروقراطية هي نظام يسعى الى العقلانية والرشد، ومحاولة إضفاء موضوعية تنظيمية في علاقات العمل وتقديم الخدمات، بعيداً عن

¹ - طلعت ابراهيم لطفي، علم الاجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ب ط، 2007، ص 40

² - O. Tierean and G. Bratucu, the evolution of the concept of bureaucracy, Bulletin of the Transilvania University of Brasov, vol. 2 (51) , 2009, p 245

³ - طلعت ابراهيم لطفي المرجع السابق، ص 79

الاهتمام بالأمور الخاصة و الشخصية للعامل. فالمفهوم الفيبري للبيروقراطية كما قلنا هو محاولة إيجاد بيئة تنظيمية أكثر كفاءة وموضوعية لتقديم أداء فعال من خلال الاعتماد على الخصائص التي أشار إليها فيبر.

ونجد أن البيروقراطية ارتبطت في أذهان الناس بمفهومها القبيح وخاصة في الدول النامية وبتالي الممارسات لا تتفق ولا تتسجم مع روح وحقيقة النموذج المثالي الذي اقترحه فيبر، ان هذا الاختلاف في فهم وإدراك مفهوم البيروقراطية يرجعه بعض الكتاب إلى أن الجهاز البيروقراطي في اي مجتمع هو نتاج وإفراز التاريخ وثقافة وسلوكيات وبناء هذا المجتمع¹. والشاهد أن الثقافة المجتمعية لها تأثير على التنظيمات البيروقراطية وعلى أداء العمال فيها؛ فالعامل وان توفرت له ثقافة تنظيمية مهما كانت درجة شدتها وتأثيرها إلا انه يمكن التأثر بالثقافة المجتمعية التي قضى فيها جل حياته وبتالي لا يعدوا كلام فيبر إلا نموذج مثالي يصعب تحقيقه في الواقع.

بناء على ما سبق لابد من إدراك حقيقة هامة وهي ان البيروقراطية وسلوكيات واتجاهات العاملين بها تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تحيط بها².

5- الشرعية ومصادر السلطة عند ماكس فيبر:

اهتم ماكس فيبر بموضوعات ومفاهيم كانت عصب تحليلاته ونقاشاته مبرزاً أهم القضايا التي تم توظيفها في نظرية البيروقراطية منها مفهوم الشرعية والسلطة، فقد أحاطت بهذه المفاهيم قبل وبعد ماكس فيبر الكثير من الغموض، وعدم الوضوح.

¹ - طلق عوض الله السواط وآخرون، الإدارة العامة المفاهيم - الوظائف - الأنشطة، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة،

السعودية، 1428 هـ، ب ط، ص 37

² - طلق عوض الله السواط وآخرون، المرجع السابق ذكره، ص 38

يبدو أساس الشرعية ومركزها بطبيعته محل اختلاف لأنها إذا استندت إلى التشريعات الوضعية، فإنها تتطابق مع مفهوم المشروعية، وإذا اعتمدت على المنطق والعقل، فانه من الممكن المناقشة إلى الأبد حول ما هو معقول وما هو غير معقول، أما إذا كان معيار الشرعية هو القيم، فانه لا بد من وجود منظومة قيمية ضمن إطار " فضاء " سياسي معين، وهذا غير متحقق بشكل دائم، وهكذا فان مفهوم الشرعية يدخل بالضرورة في مجال النسبية¹.

يشير ماكس فيبر إلى معنى الشرعية وهي تعني القواعد التي على أساسها تمارس القوة وتكون مقبولة². ويرى "بول باستيد" أن مصطلح الشرعية يعني أساس السلطة وتبرير الخضوع أو الطاعة الناجمة عنها³.

فالسطة أساسها الشرعية، والشرعية هي قواعد المقبولة من المرؤوسين لتبرر ممارساتها. ونقوم الشرعية (Légitimité) عند ماكس فيبر على ثلاث أنواع من الاعتقادات التي يحملها الفاعلين عن نظام اجتماعي معين. فالنظام التقليدي والنظام القانوني العقلاني ، ونظام السلطة الخارقة للمألوف تختلف شرعية كل منهما عن شرعية الآخر بسبب أن كل واحد منها يستمد شرعيته من نوعية مختلفة من الاعتقادات التي يحملها الأتباع أو المرؤوسين عن رؤسائهم أو قادتهم⁴.

فالسطة تستوجب توفر الشرعية التي تمنحها وتعطيها الاستقرار النسبي وتحدد أبعادها. إذ يصبح أعضاء الجماعة على استعداد للطاعة وذلك لا اعتقادهم أن مصدر التوجيه والضبط شرعي سواء تمثل في شخص أو هيئة.

¹ احمد ناصوري، النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد

24، العدد 2، 2008، ص 352

² - حسين عبد الحميد احمد رشوان، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ب ط ، 2007، ص 23

³ - احمد ناصوري، المرجع السابق ذكره، ص 352

⁴ - عبد الله مصفر الودداني، إعادة صياغة نظرية ماكس فيبر في ليبروقراطية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب

والعلوم الإنسانية، م18، ع1، 2010، ص 159

وقد ركزت أعمال ماكس فيبر على نماذج السلطة والبيروقراطية وهو ما جعله يعد من الذين أسهموا في وضع نظرية في السلطة البيروقراطية¹.

والسلطة الشرعية تعني إطاعة الأوامر بناء على الاعتقادات التي يحملها الفاعلون عن الأنظمة الاجتماعية الثلاثة (النظام التقليدي والقانوني العقلاني والشارق للمألوف) تختلف السلطة الشرعية عن ما اسماء ماكس فيبر بالسلطة المجردة (sheer power)، التي تقتصر للقيم والمعتقدات التي تبرر تصرفات الفاعلين الذين لديهم سلطة أو سلطات شرعية تعني السلطة المجردة نجاح شخص ما في فرض إرادته على غيره².

ولفهم البيروقراطية من الضروري ان نفهم نموذج الشرعية الذي تقوم عليه الرقابة البيروقراطية، وتصبح السلطة شرعية إذا استطاع الحاكم ان ينظر للقوة على انها حقا مشروعاً له من جهة، ومن جهة أخرى لما يعتقد الأفراد ان طاعة الحاكم واجبة والامتثال لأوامره ضرورة، وهكذا تقوم السلطة على مجموعة من المعتقدات التي بموجبها تصبح ممارسة القوة شرعية بالنسبة للأفراد والحكام، وذلك لتوفير الاستقرار النسبي لأنساق السلطة المختلفة، وتتطلب ممارسة السلطة على الأفراد وجود هيئة إدارية لها القدرة على تنفيذ الأوامر وقيام العلاقات ذات الصلة الدائمة بين الرؤساء والمرؤوسين³.

ومن النماذج المثالية الشهيرة التي أقامها فيبر، ذلك الذي يتضمن تمييزاً واضحاً بين ثلاثة أنماط من السلطة الشرعية، يركز كل منها على شكل محدد من الشرعية فهناك سلطة تقوم على أساس عقلي رشيد، وهناك السلطة

¹ - رايح كعباش، المرجع السابق ذكره، ص ص 44 - 45

² - عبد الله مصفر الودداني، المرجع السابق ذكره، ص 159

³ - رايح كعباش، المرجع السابق ذكره، ص 48

التقليدية، وأخيرا السلطة الروحية الملهمة¹. ومن هذا نعرض بالتفصيل لكل شكل من أشكال السلطة كما حددها فيبر، "وكل واحد منها تظهر في شكل معين من البناءات التنظيمية الهيرارشية المنظمة"².

أ- السلطة التقليدية:

ينظر فيبر للتقليدية على انها " اتجاه نفسي نحو عادات العمل اليومي وهي الإيمان بالروتين اليومي كقيمة سلوكية يجب الالتزام بها"³.

في ضوء محددات الشرعية لكل نمط من الأنماط الداخلية للنسق التقليدي، التي تصب في قالب التقليدية رغم اختلافاتها البنائية (الاجتماعية و الاقتصادية)، ووفقا لمعيار وجود او غياب الهيئة الإدارية، وعلى أساس درجة دقة المكانات التي يضعها التقليد، قسمت السلطة التقليدية إلى أربعة أقسام:

1- سلطة الشيوخ، 2- سلطة أبوية، 3- سلطة ملكية، 4- سلطة إقطاعية.

ويرتبط المفهوم الشامل للسلطة التقليدية بجوانب اجتماعية وسياسية وتنظيمية. على سبيل المثال، يلعب كبار السن دورا رئيسا في الأسر الممتدة في المجتمعات التقليدية، بينما يؤثر القادة السياسيون تأثيرا كبيرا في صناعة القرارات اليومية في المجتمعات التقليدية المحلية. كما يقوم قادة المنظمات التقليدية في الجيوش والمدارس ونحو ذلك بأدوار لا تقل أهمية عن ادوار كبار السن او القادة السياسيون، وفي أحيان كثيرة يتم اختيار رئيس المنظمة التقليدية

¹ - نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، دار المعارف، مصر، ترجمة: محمود عودة وآخرون، ط3،

1974، ص 270

² - رايح كعباش، المرجع السابق ذكره، ص 48

³ - عبد الله مصفر الوجداني، المرجع السابق ذكره، ص 164

بسبب كبر سنه أو لسبب تقليدي آخر. يعني ذلك ارتباط السلطة التقليدية الشاملة بالسلطة في مجال المنظمات أي السلطة البيروقراطية التقليدية¹.

تتميز السلطة التقليدية بعدم وجود "المبادئ الرسمية" (**formel principes**) كما اسمها فيير التي تمثل احد ابرز سمات السلطة العقلانية القانونية الحديثة، وأيضاً يتعذر على المشرع صناعة القانون الإداري بطريقة مقصودة بسبب شيوع وسيطرة التقاليد. إضافة إلى ذلك ، يتم تعيين القادة التقليديين بناء على معايير النظام التقليدي ويطاعون بسبب المكانة التقليدية التي يحظون بها، كما يعتمد النظام التقليدي كثيراً على الولاء الشخصي. وطاقمه الإداري يتكون بشكل رئيس من إتباع شخصيون، والمرؤوسين يعتبرون رفاق تقليديون، لذا تشبه العلاقة التي تربط الزعيم التقليدي بالإتباع العلاقة الشخصية التي تربط رب الأسرة مع بقية أفرادها².

ويؤكد فيير على وجود نمط السلطة التقليدية بتصور الحق الإلهي للملوك، والملكيات المطلقة، موضحاً كيف ان السلطة التقليدية تسعى باستمرار إلى إقرار النظام الاجتماعي القائم واستمراره، وانها بذلك تواجه صعوبات حينما تجد نفسها إزاء أي تعديل أو تغيير اجتماعي³.

¹ - نفس المرجع، ص 164

² - عبد الله مصفر الورداني، المرجع السابق ذكره ، ص ص 165 - 166

³ - رابح كعباش، المرجع السابق ذكره ، ص 51

* - ليس هناك اتفاق بين علماء الاجتماع العرب فيما يتعلق بترجمة مصطلح (charisma) على سبيل المثال، اطلق عليه محمد حجازي مسمى الإلهام وترجمته سميرة السيد بالشعبية (الإلهام) مشيرة الى تعبير " القائد الشعبي او الحاكم الشعبي" الذي يستمد سلطته عن طريق التأثير الشخصي والاقناع. في الوقت ذاته، ترجم معنى العمر = مصطلح (charisma) ب "القيادة الفذة" حيث ذكر ان فيير استخدم "هذا المصطلح ليعبر عن السلطة الفذة عند تحليله للتسلط..." اما مصطلح السلطة الخارقة للمالوف المستخدم هنا فهو الأقرب للمعنى للأسباب التالية:

اولاً: يرتبط مفهوم "الإلهام" في الثقافة العربية بالقيادة المؤثرين وبغيرهم، وهو ترجمة مناسبة للكلمة الانجليزية (inspiration)

ثانياً: لايتوافق تعبير "الفذ" مع منهج ماكس فيير الذي اصر على استخدام المصطلح دون اي تقييم بينما يوحى مسمى "

القائد الفذ" لقارئ العربية بالتقييم الايجابي لتصرفات القائد.

من العرض السابق للسلطة التقليدية أنها سلطة تعتمد على العادات والتقاليد التي تبرر مشروعيتها وإن طاعة القائد يستند إلى هذه المشروعية، وهذا خلافا لما هو مشاع عنه في السلطة العقلانية.

ب- السلطة الكارزمية أو الخارقة للمألوف^(*):

تعتمد على الولاء المطلق لقدسية معينة استثنائية مثل البطولة ، او نموذج من نماذج الشخصيات يحتذى لما لديه من مثل وقيم، او بسبب نظام ابتدعه او دعمه زعيم معين، ومن أمثلة هذا النمط من السلطة بعض الزعماء او القادة الروحيين من أمثال غاندي وهتلر¹. ويرى فيبر ان هذا النوع من السلطة عادة ما يكون ذا طابع تسلطي وشاذ...، وقد يكون لديه أتباع يخضعون له ويعملون بمقتضى تعاليمه. وعادة ما يكونوا وسطاء بين القائد والجمهير².

ووفق تحليلات ماكس فيبر ان الكاريزما في جوهرها خاصة معنوية مميزة لشخصية فرد بذاته. يتعدى بفضلها حدود الكينونة الإنسانية فيبدو وكأنه يتمتع بقدرات خارقة ومواهب فائقة، تتجاوز طاقة البشر وتنبو عن المألوف³. والسلطة الكارزمية حسب الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي - انجليزي): "تعرّفها على أنها السلطة التي تحدث تغييرا حاسما تكون معارضة للعادات والأنماط الروتينية المألوفة للسلوك والعمل، وتقوم على اعتقاد بان

ثالثا: يصعب استخدام مفهومي "اللاهام" والقيادة الفذة" لوصف جوانب اخرى مرتبطة بالسلطة الخارقة للمألوف

(charisma) وبالتحديد عندما تعرض فيبر لعلاقتها لالمنّاب او الجماعة. على سبيل المثال اشار ماكس فيبر لمفهوم " الجماعة الخارقة للمألوف" و " المنصب الخارق للمألوف" " العلاقات القرابية الخارقة للمألوف" و " السلطة الوراثية الخارقة للمألوف" والارستقراطية الخارقة للمألوف. انظر (عبد الله مصفر الوجداني، المرجع السابق، ص ص 162- 163).

¹ - نيقولا تيماشيف، المرجع السابق، ص 270

² - انظر: رايح كعباش ، المرجع السابق ذكره ، ص 49

³ - السيد عبد الحليم الزيات، في سوسيولوجيا بناء السلطة " الطبقة.. القوة.. الصفوة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،

الحاكم لديه صفات غير عادية او استثنائية تجعل منه قائدا ملهما¹. ويقول فيبر ان السلطة الشرعية الخارقة للمألوف ليست مفهوما أجوفا مجردا من أي معنى ، ولكنها بناء اجتماعي محدد يتبعه طاقم إداري وجهاز لتقديم الخدمات ووسائل مادية مهياة لخدمة رسالة القائد. وتبرز السلطة الخارقة للمألوف عندما يظهر الفرد سمات شخصية غير عادية ، وعند وجود الرفاق والأتباع المؤمنين بقدراته الخارقة. لذا يستلزم لظهور هذه السلطة وجود هذين العاملين المرتبطين مع بعضهما البعض ارتباطا وثيقا². وقد بين فيبر ان بناء السلطة غير مستقر بطبيعته اذا كان مرتبطا بحياة شخص واحد ، والبناءات التنظيمية التي تخرج من السلطة الكارزمية لا تكون محددة بوضوح بل تكون مائعة وضبابية. كما يتميز الجهاز الإداري القائم بعدم الاستقرار والثبات ومن يشغل أماكن السلطة فيها او يشترك في كاريزما القائد او يمتلك كارزمته لا يأتي اختيارهم على أساس الروابط العائلية للقائد او على قاعدة المؤهلات العلمية او التقنية³. وعند افول نجم القائد الخارق للمألوف او لدى شعوره بدنو اجله يظهر عدد من الاحتمالات المتعلقة بانتقال سلطته. احد هذه الاحتمالات هي تحول سلطته الى ما اسماه فيبر " بسمة قابلة للانتقال او الحيابة الشخصية"؛ او ان يرتبط بمنصب او ببناء مؤسساتي غير شخصي. اطلق عليه فيبر على هذه الإجراءات خطوات تحول السلطة الخارقة للمألوف من سلطة نقية (Pure Charisma) الى سلطة غير شخصية (Depersonalization of charisma)، قبل ان تبدأ خطوات التغيير التي تطرأ على السلطة الخارقة للمألوف يستمد القائد الشرعية من افعاله " العظيمة"، في حين يستمد اتباعه شرعية تصرفاتهم من افعال القائد

¹ - اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي - انجليزي)، بدون دار نشر، ب

ط، ب ت، ص 241

² - انظر : عبد الله مصفر الودعاني، المرجع السابق، ص 175

³ - انظر: رابح كعباش ، المرجع السابق، ص 49

بعد أفول نجمه. في كثير من الحالات، تتحول السلطة الخارقة للمألوف الى سلطة غير شخصية عن طريق اعتقاد اتباع بتحولها عن طريق " صلة الدم" . عندما يترسخ الاعتقاد لدى افراد الجماعة بان السلطة مرتبطة بصلة الدم يحدث تحول جذري في معناها، حيث يعظم الشخص ليس بسبب تصرفاته، مثلما كان عليه الوضع مع القائد الأصلي ولكنه بسبب أفعال أجداده التي تصبح مصدر للشرعية¹.

إذا السلطة الخارقة للمألوف هي وجود طرفين طرف له صفات خارقة يمتاز بها وتعطيه الأهلية ان يكون القائد الملهم، وطرف يؤمن بهذه الصفات لتجعل منه تابعا ومطيعا.

ج- السلطة العقلانية القانونية:

ترتبط السلطة العقلانية القانونية بالبيروقراطية الحديثة ارتباطا وثيقا. في هذا السياق أشار فيبر إلى أن السلطة العقلانية القانونية تختلف عن غيرها من السلطات بسبب اعتمادها على الاعتقاد بقانونية الأنظمة الموضوعة (Rules Enacted)، وبحق الذين ترقوا لشغل منصب السلطة الشرعية في إصدار الأوامر اعتمادا على تلك الأنظمة². وتفترض هذه السلطة وجود مجموعة رسمية من المعايير الاجتماعية تتولى تنظيم السلوك تنظيميا رشيدا. ويستمد الحاكم سلطته من التزامه بالقواعد القانونية المعترف بها. والتي تتميز أيضا باعتماد على القواعد والنظام الرسمي، الذي يحدد طبيعة الهيرارشية، والحقوق والواجبات. وهذا ما يمثل لدى فيبر النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي والقانوني والعقلاني³. أنها تمثل النموذج المثالي الأنقى فيما يتعلق بتطبيق

¹ - انظر : عبد الله مصفر الوقداني، المرجع السابق، ص 177

² - نفس المرجع، ص 171

³ - انظر رابح كعباش، المرجع السابق، ص ص 51-52

السلطة الشرعية القانونية التي يمارسها طاقم إداري بيروقراطي¹. ويتواجد أعضاء البيروقراطية في مكاتب منظمة هرميا ، ويتم اختيار الموظفين على أساس الكفاءة، ويعتبرون شاغلي مراكز بيروقراطية وليسوا ملاكا لها. وقد اعتبر فيبر هذا الشكل من البناء الإداري أنقى شكل لممارسة السلطة الشرعية². تمارس السلطة العقلانية باحترامها للقوانين والقواعد المعمول بها داخل المنظمة؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ما هي القواعد الموضوعية أو العقلانية التي يتم بها تعيين من يملك السلطة في مؤسساتنا البيروقراطية نتحدث هنا عن التنظيمات التي تعمل على تقديم خدمات ومؤسسات تعليمية واقتصادية ... الخ؟ فيبر من خلال تحليله لمفهوم السلطة أطال النفس في كيفية ممارستها وانطلاقية مشروعيتها، وماذا يستند صاحب السلطة لكسب مشروعيتها وبالتالي قبول كل ما يأتي منه من قبل مرؤوسيه. هذا الطرح البسيط نجد في ثناياه تعقيدات لطالما نريد فك ارتباطاتها وتشعباتها من خلال معرفة كل ما يحيط بالتنظيم من بيئة داخلية وخارجية ، لعل تلك البيئات هي من تفك اللغز المبهم للسلطة وما يدور حولها.

خاتمة

نظريتي كل من ابن خلدون وماكس فيبر لم تقم من افتراضات ذهنية بل من واقعين اجتماعيين مختلفين، يرد إليهم الفضل في استنتاج الواقع وتحليله ومناقشة جوانبه بشكل يدعو إلى النظر في هذه التحليلات المبدعة التي من خلالها نحاول إسقاطها على الواقع العربي والجزائري بالخصوص؛ فيبيروقراطية ماكس فيبر كان يفترض ان تطبق في مؤسساتنا وتنظيماتنا إلا أن العوامل الاجتماعية والبنى الثقافية حالت دون تطبيقها بالشكل الصحيح الذي كان يراد

¹ - انظر : عبد الله مصفر الوقداني، المرجع السابق، ص 171

² - انظر رابح كعباش، المرجع السابق، ص 52

لها ان تكون؛ لان العقلانية في التنظيم تستدعي التخلص من ممارسات اجتماعية سلبية طالما سادت فترات تاريخية .

حاولت مختلف المؤسسات بمختلف أشكالها وأصنافها وضع ثقافة تنظيمية مبنية على مبدأ الكفاءة والعقلانية تحكم أفرادها . فمبدأ السلطة التي تعدو أنها عصب اي تنظيم ومحور علاقاته السوسيوتنظيمية فإنها أخذت القسط الأوفر من عادات وتقاليدها مجتمعية أو من صفات يمتلكها شخص معين يحمل كاريزما قيادية لا تعدو ان تحقق مبتغاها في زمن ومكان معينين فإنها تتحاذ إلى التصور الذي كان من الممكن أن تسير وفقه .

فالسلطة لا يمكنها ان تزول بسقوط صفة من الصفات او عادة من العادات، فالأخذ بمبدأ العقلانية والكفاءة في مجال التسيير يحقق للتنظيمات الاستقرار والفعالية وتستمد قوتها من قوة القوانين والتشريعات لا من قوة الأشخاص والعادات.

المصادر والمراجع المعتمدة:

- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج8، 1956
- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي- انجليزي)، بدون دار نشر، ب ط، ب ت
- احمد ناصوري، النظام السياسي وجدلية الشرعية والمشروعية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد 2، 2008
- إسحاق إبراهيم منصور ، ممارسة السلطة واثارها في قانون العقوبات ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الأول، حرف العين المهملة
- باري هندس، خطابات السلطة من هوبز الى فوكو، ت ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005،

- بلوم أسمهان، نسق السلطة التنظيمية وعلاقاته بالوظائف التنفيذية لنسق تسيير الموارد البشرية دراسة مقارنة لمؤسستين عامة وخاصة، دراسة ميدانية بالمؤسسة العمومية الاقتصادية لاشغال الطباعة ودار الشهاب للطباعة والنشر - باتنة، دراسة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع تنظيم وعمل، جامعة الحج لخضر باتنة، غير منشورة، 2011 - 2012
- حسن ملحم، التحليل الاجتماعي للسلطة، منشورات حلب، حلب، سوريا، 1993، ب ط
- حسين عبد الحميد احمد رشوان، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ب ط، 2007
- السيد عبد الحليم الزيات، في سوسيولوجيا بناء السلطة " الطبقة.. القوة.. الصفوة"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003
- طلعت إبراهيم لطفي، علم الاجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ب ط، 2007
- طلق عوض الله السواط وآخرون، الإدارة العامة المفاهيم - الوظائف - الأنشطة، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 1428 هـ، ب ط
- عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ت: محمد الشريف بن دالي حسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001
- عبد الله مصفر الوقداني، اعادة صياغة نظرية ماكس فيبر في ليبروقراطية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م18، ع1، 2010،
- كامل محمد المغربي، السلوك التنظيمي، مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، دار الفكر، عمان، 2010، ط4
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 2001
- محمد نصر مهنا، في تاريخ الأفكار السياسية وتنظيم السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999،
- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2007

- محمد عابد الجابري، فكر بن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994،
- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، دار المعارف، مصر، ترجمة: محمود عودة وآخرون، ط3، 1974

المراجع الاجنبية:

- 1 -O. Tierean and G. Bratucu, the evolution of the concept of bureaucracy, Bulletin of the Transilvania University of Brasov, vol. 2 (51) , 2009